

## الأطر النظرية المفسرة للسلوك الاجرامي بين الوراثة والبيئة

**Theoretical frameworks explaining criminal behavior between heredity and environment**

جلول بن يطلو

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر) مخبر الصحة النفسية

d.benyattou@lagh-univ.dz

تاريخ النشر: 2023/03/31

تاريخ القبول: 2022/12/23

تاريخ الاستلام: 2022/08/08

**ملخص:**

الجريمة ظاهرة معقدة، متعددة الأبعاد متشابكة الجوانب، ورغم أنها محور الدراسة في العلوم القانونية من حيث سن القوانين والتشريعات للحد منها وردع مرتكبيها ومعاقبتهم، إلا أنه لا بد من الدراسة العلمية المنهجية المنظمة لدوافعها، ومظاهرها، ومناطق انتشارها، وخصائص مرتكبوها والظروف الموضوعية الداخلية والخارجية التي تدفعهم إلى ارتكابها، لفهمها ومعالجتها والوقاية منها.

**كلمات مفتاحية:** الجريمة، السلوك الاجرامي، الأطر النظرية، الوراثة، البيئة.

**Abstract:** Crime is a complex phenomenon multidimensional intertwined sides, although it is the focus of study in legal sciences, In terms of enactment of laws and regulations to reduce, deter and punish perpetrators however, there must be a systematic scientific study of its motives, manifestations, and areas of spread, the characteristics of the perpetrators, and the objective internal, and external circumstances that motivate them to commit them to understand, treat and prevent it.

**Keywords:** the crime, criminal behavior, theoretical frameworks, heredity, environment.

**1- مقدمة**

يرجع السلوك الاجرامي بمختلف أشكاله إلى عدة عوامل عضوية، نفسية، واجتماعية متداخلة، ويرى العلماء بمختلف توجهاتهم النظرية، إلى أن الاجرام ظاهرة سلبية تهدد كيان الفرد، وتؤدي إلى نشوء اضطرابات نفسية، وسلوكية في شخصية مرتكب الجريمة، وما ينجر عنه من تهديم للبنىات النفسية، والاجتماعية للمجتمعات، لأن آثارها تلحق بالجميع وتسبب

تدميرا لكل مرافق المجتمع، وتقضي على سعادة الضحايا وذويهم، لذلك لا تدخر المجتمعات جهدا، في سبيل إعادة من ينحرف إلى جادة الصواب، سواء باستخدام أساليب الردع والعقاب، أو بأساليب العلاج و التأهيل والترشيد والتوعية والوعظ، ولكن قبل ذلك وجب أولا فهم العوامل المؤدية لارتكابها، و فهم شخصية الجاني، والوقوف على الظروف التي أدت به إلى الانحراف، وفي هذا الصدد فقد تعددت و تباينت وجهات النظر حول مفهوم الجريمة وأسبابها، ارتباطا بالتخصص الذي يتعرض لتعريفها، وفلسفة الناظر لها، ومن هذا المنطلق أردنا تسليط الضوء، على أهم الأطر النظرية المفسرة للسلوك الاجرامي، ودوافعه الداخلية البيولوجية النفسية أي الوراثة، أو الخارجية الاجتماعية أي البيئة.

## 2. مدخل مفاهيمي:

**1.2 الجريمة:** هي السلوك الذي تحرمه الدولة لما يترتب عليه من ضرر على المجتمع، والذي تتدخل لمنع بعقاب مرتكبيه<sup>1</sup>، أو هي كل فعل أو امتناع عن سلوك أو فعل يجرمه المشرع وينص له قانون يمثل قاعدة جزائية تطبق على الخارجين عنها<sup>2</sup>. ومن الناحية الاجتماعية، الجريمة عبارة عن خروج عن معايير المجتمع، أو عن قواعد الإجماع، أي القواعد التي يحددها المجتمع، وتحكم سلوك أفراد، أو هي تلك الأفعال التي تمثل خطرا على المجتمع، وتجعل من المستحيل تحقيق التعايش، والتعاون بين الأفراد الذين يؤلفون المجتمع، أو هي كل مخالفة لمشاعر الولاء الاجتماعي<sup>3</sup>.

أما من الناحية القانونية فالسلوك الإجرامي عبارة عن النشاط الذي يقوم به الجاني، ويختلف هذا السلوك من جريمة لأخرى، باعتبارها موضوع علم الإجرام، ورغم اختلاف العلماء حول تحديد المقصود بالجريمة التي يتناولها هذا العلم بالدراسة، فإنها ذلك السلوك الإنساني فعلا كان أو امتناعا، يتضمن خرقا لقيم ومصالح اجتماعية، يقدر المشرع جدارتها بالحماية الجنائية فيقرر له جزاء، ويحصر علم الإجرام اهتمامه على الجريمة دون سواها من صور السلوك الاجتماعي محولا وصفها وتفسيرها<sup>4</sup>.

**2.2 المجرم:** إن المجر قبل أن يكوف شخصا خاضعا لقواعد المسؤولية الجنائية، في قانون العقوبات، فهو إنسان خارج على ناموس العلاقات الاجتماعية، أي خارج على قواعدها في الضبط الاجتماعي، بما يأتيه من سلوك إجرامي<sup>5</sup> إلا أن منهم من يرتكب جريمة عرضا، و منهم من جعلها حرفة، و منهم من يرتكب جرمته بسرور، و آخرون يرتكبونها وهم معذورون على ذلك، وهناك من يرتكبها دون وعي ودارية، ومنهم من يرتكب الجريمة بمفرده، وهناك من يرتكبها مع غيره، ومنهم

1 . السيد علي شتا، علم الاجتماع الجنائي، الدمام، دار الإصلاح للطبع و النشر والتوزيع، 1984، ص23.

2. جلال الدين عبد الخالق، والسيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2001، ص181 .

3 . عبد الله عبد الغني غانم، علم الاجتماع الجنائي الإسلامي، الكتاب الأول، الجريمة والمجرم من المنظور الإسلامي، نحو نظرية إسلامية عامة للجريمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1994، ص39

4. فتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام العام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص215 .

5 . حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الجريمة، دراسة في علم الاجتماع الجنائي، المركب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د.سنة، ص61 .

المختص في نوع معين من الجرائم، وآخرون خلاف ذلك، وعلى ذلك يُحمّل المجرم السوي مسؤولية جنائية كاملة عن أفعاله الإجرامية، بينما تسقط العقوبة عن المجرم غير السوي الفاعل للأهلية، وإن جاز اتخاذ بعض التدابير الوقائية حياله، أما ناقصوا الأهلية فمسؤوليتهم تتأرجح بين التخفيف والمساءلة كاملة، وعلى هذا فالجرائم في القانون هو شخص ارتكب فعلا يعتبر في نظر القانون جريمة، ويقول "سذرلاند": إن مرتكب الجريمة لا يوصم بأنه مجرم حتى تثبت جرمته من خلال إجراءات محاكمة مقبولة<sup>1</sup>.

**3.2 السلوك الإجرامي:** هو أي سلوك مضاد للمجتمع، وأي شكل من أشكال مخالفة المعايير الأخلاقية له، ويعاقب عليها القانون، وإذا كانت الجريمة هي الفعل الإجرامي فإن السلوك الإجرامي هو ممارسة هذا الفعل<sup>2</sup>.

السلوك الإجرامي عبارة عن كل فعل ذا بعد مادي، خارج بوعي عن القواعد القانونية الجنائية المعمول بها في المجتمع، وبهذا الخروج مساس بالمجتمع، في أمنه وسلامته أفراداً، ومؤسساته وقيمه وأخلاقه، ومن هذا المنطلق يعرف "الرباعية" الجريمة على أنها "كل فعل يعاقب عليه القانون، وينتهك القيم والمعايير الاجتماعية السائدة انتهاكاً صارماً يتجاوز حدود التسامح الممكنة<sup>3</sup>."

**4.2 خصائص السلوك الإجرامي:** يرى "هول" HaII أن هناك سبع خصائص لا بد من توافرها للحكم بأن السلوك إجرامي وهي:

- الضرر هو المظهر الخارجي للسلوك، فالسلوك الإجرامي يؤدي إلى الضرر بالمصالح الفردية أو الاجتماعية أو بهما معا.
- أن يكون هذا السلوك ضاراً ومحرمًا قانوناً ومنصوص عليه بقانون العقوبات.
- يجب وجود تصرف يؤدي إلى وقوع الضرر سواء كان إيجابياً أو سلبياً، عمدي أو غير عمدي.
- توافر القصد الجنائي والوعي التام للمجرم بأن ما أقدم عليه من سلوك إجرامي يقع تحت مسؤوليته.
- يجب أن يكون هناك توافق بين التصرف والقصد الجنائي، ويعطي "هول" مثال رجل الشرطة الذي يدخل منزلاً ليقبض على شخص ما، بأمر من القاضي، ثم يرتكب جريمة اثناء وجوده في المنزل، بعد تنفيذ أمر القبض، فهذا الرجل لا توجه له تهمة دخول المنزل بقصد ارتكاب الجريمة، لأن التصرف والقصد الجنائي لم يلتقيا معا...
- يجب أن تتوفر العلاقة الفعلية، بين الضرر المحرم قانوناً، وسوء التصرف أو السلوك الإجرامي، حتى يمكن تجريمه، فالجاني لا يسأل عن نتيجة فعله إذا كانت هناك رابطة سببية بين الفعل والنتيجة...
- يجب النص على عقوبة الفعل المحرم قانوناً، وهو مبدأ الشريعة الذي يقرر أنه لا جريمة أو عقوبة إلا بنص<sup>4</sup>.

1. سذرلاند أدوين ودونالد ركريسي، مبادئ علم الإجرام، ترجمة اللواء محمود السباعي، والدكتور حسن صادق المصفاوي، مكتبة الانجلو العربية، القاهرة، 1968، ص 20

2. محمد شحاته ربيع وجمعه سيد يوسف ومعتز سيد عبد الله، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994، ص 39.

5. أحمد الرباعية، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، أكاديمية نايف العربية، الرياض، 1984، ص 16.

4. محمد شحاته ربيع وآخرون، مرجع سبق ذكره ص 45.

وتصنف الجرائم حسب خطورتها إلى ثلاثة أنواع: الجنايات وهي أخطرها، وتليها الجنح، وأخيرا المخالفات وهي أبسطها، وذلك وفقا للعقوبة المقررة لها في قانون العقوبات كالتالي :

أ / **الجنايات**: تتراوح العقوبة بين الإعدام والسجن المؤبد والسجن المؤقت لمدة تتراوح ما بين خمس سنوات وعشرون سنة.  
ب/ **الجنح**: تكون العقوبة الحبس الذي تتجاوز مدته شهران إلى خمس سنوات، إلا إذا قرر القانون حدودا أخرى، والغرامة التي تتجاوز 2000 دج.

ج/ **المخالفات**: العقوبات المقررة فيها تتراوح من يوم حبس إلى شهرين على الأكثر، والغرامة من 20 دج إلى 2000 دج. وهذا التقسيم ليس ثابتا دائما، لكنه يختلف باختلاف الزمان والمكان، فما يعتبر جنائية في وقت من الأوقات، قد يصبح جنحة أو مخالفة في وقت آخر أو العكس، وذلك تبعا للتغير الذي قد يطرأ على القيم الاجتماعية السائدة، أو تبعا لتغير النظام السياسي الذي يملك سلطة التشريع، فقد تخفف العقوبة إلى الدرجة التي تغير من نوع الجريمة، كنقلها من مرتبة الجنايات إلى مرتبة الجنح، وهذا ما يعرف بتجنيح الجنايات لظروف مخففة.<sup>1</sup>

### 3. الأطر النظرية المفسرة للسلوك الإجرامي:

#### 1.3 العوامل الوراثية (الداخلية) للسلوك الإجرامي:

1.1.3 **وجهة النظر التكوينية أو العضوية**: ونقصد بها الناحية البيولوجية والمؤثرات الداخلية، حيث أرجع البعض أسباب الجريمة إلى عوامل عضوية بيولوجية وراثية، أو إلى خلل في وظائف الغدد وبعض الأجهزة الداخلية، وهذا ما سمح بظهور علم جديد هو " علم الاجتماع الجنائي " الذي يهتم بدراسة الأسباب المؤدية إلى الجريمة والانحراف، انطلاقا من المدرسة الوضعية الإيطالية وعلى رأسها العالم " لومبروزو " الذي يرجع السلوك الإجرامي إلى عوامل عضوية تكوينية وإيمانه بالحتمية البيولوجية ثم جاء بعده العالم " فيري " الذي أضاف لعوامل الإجرام فضلا عن العوامل الأنثروبولوجية عوامل أخرى كالسن والجنس والكثافة السكانية<sup>2</sup> ونجد في هذا الصدد أيضا:

أ – تأثير الوراثة على السلوك الإجرامي: وهو وراثة الميل إلى الجريمة<sup>3</sup>، يعتقد أنصار هذا المذهب أنه توجد علاقة بين السلوك الإجرامي وتكوين الجسم، وكان رائدهم الطبيب الإيطالي " سيزار لمبروزو " وقد نادى خلال دراسته الأولى بنظرية المجرم بالولادة، ثم ما لبث أن عدّل موقفه في أعماله المتأخرة، مقررًا بأن الإجرام لا يورث في حد ذاته بل يورث استعدادا كامنا له تحركه البيئة الفاسدة.<sup>4</sup>

1. حسن صادق المرصفاوي، "نظام التجنيح، المجلة الجنائية القومية، عدد 1، مارس 1963، ص 6.

2. نظير فرج مينا، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1993، ص 17.

3. أسامة محمد الراضي، النظريات الحديثة في تفسير السلوك الإجرامي: أثر العوامل الوراثية والتكوينية على قيام السلوك الإجرامي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1987، ص 31.

4. بدر الدين علي، النظريات الحديثة المفسرة للسلوك الإجرامي: عرض عام لتطور النظريات المتعلقة بسببية الجريمة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، المملكة العربية السعودية 1987، ص 18.

والفكرة الأساسية لدى "لمبروزو"، أن المجرم نط معين من البشر، يتميز بطائفة من الملامح العضوية، والسمات النفسية، التي يرتد بها الإنسان البدائي الأول، والمخلوقات البدائية، كالقردة والحيوانات المتوحشة، ولذلك فإن تصرفاته لا تتفق مع القيم والتقاليد، التي يفرضها المجتمع الحديث، إنما ترتد إلى الماضي الضارب في القدم، لتتفق مع تصرفات الإنسان البدائي المتوحش،<sup>1</sup> وقد خلص "لومبروزو" إلى أن الإنسان المجرم يختلف عن الإنسان العادي، في التكوين الجسماني والوظيفي الداخلي، والنقص في التكوين يؤثر بدوره على التكوين النفسي للفرد، وإلى ارتكاب الجريمة<sup>2</sup> و توصل في دراسته إلى عدة نتائج ضمنها مؤلفه الشهير "الانسان المجرم" عام 1976 وهي:

وجود مجموعة من الخصائص العضوية المشتركة، بين جميع طوائف المجرمين، أهمها عدم انتظام شكل الجمجمة، بروز وعرض الفكين، كبر الأذنين، فرطحة الأنف واعوجاجه، تنوء الخدين، ضيق الجبهة وانحدارها، عدم انتظام الأسنان، طول الذراعين، كثافة الشعر... ويكون مجرماً من تتوفر فيه أكثر من خمس سمات منها.

المجرم هو وحش بدائي تنتقل إليه هذه الخصائص عن طريق الوراثة، وهو ما يخلق لديه استعداداً فطرياً للإجرام، ما يجعله غير قادر على التكيف مع المجتمع.

المسؤولية الجنائية حتمية وليست اختيارية، لان المجرم مجبر عليها، ولذلك اقترح أن تحل التدابير الاحترازية محل العقوبة.<sup>3</sup>

من أهم المدارس المفسرة للسلوك الإجرامي في هذا المنحنى، نجد نظريات التكوين الحيوي، من خلال أعمال "أرنيست كريتشمر" الذي ربط بين أنماط بناء الجسم، و النمط المزاجي، وكذلك السلوك الاجرامي، و ذهب إلى حد ربط كل نمط جسدي، بنوع من السلوك الإجرامي، (رياضي = عنف)، (ضعيف = سرقة)، (مكتنز = الغش)، (مختلط = جرائم أخلاقية)، كما أشار أصحاب هذا الاتجاه إلى أن التغيرات في كيمياء الجسم، الناتجة عن النظام الغذائي، و كيمياء الدم و الحساسية... قد تؤدي إلى سلوكيات غير اجتماعية<sup>4</sup>، إذ أن النشاط الدماغى غير الطبيعي قد يؤدي إلى السلوك المحرف أيضاً.

ب- تأثير الجنس: تختلف نسبة الإجرام بين الرجل والمرأة، من حيث الكم والنوع، فالمرأة عادة لا ترتكب جرائم العنف، التي تستخدم فيها الأسلحة البيضاء كالسكاكين، أو الأدوات التي تطلب التحاماً أو تشابكاً، فهي إن لجأت للسلاح فذلك لأنه يضمن الإصابة من بعيد، فهي غالباً ما تتجنب التنفيذ المباشر لجرائم العنف، وإن اضطرت للقتل فإنما تستخدم القتل بالسم، وغالباً ما يقتصر دورها على المساهمة التبعية لا الأصلية.

ج- تأثير السن: من الخصائص الفردية الهامة التي تميز الشخصية الإنسانية، سواء من الوجهة العضوية أو النفسية، ويصاحب السن نوعاً من التطور، الأول داخلي يتعلق بالتكوين العضوي والنفسي، والآخر خارجي أي الذي يطرأ على البيئة التي يعيش فيها الإنسان، في فترات حياته المختلفة، ومثال ذلك التغير في حياة الشخص من طالب إلى موظف ومن

1. محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر والتوزيع ط1، عمان، الأردن، 2008، ص 126.

2. جمال معتوق، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي، الجزء الأول، دار بن مرابط للطباعة والنشر، 2008، ص 90

3. طه السيد أحمد الرشيدى، تفسير السلوك الإجرامي في ضوء النظريات الوضعية والمنهج الإسلامى، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، المجلد 9، العدد 2، 2017، ص 329.

4. محمد عبد الله الوريكات، مرجع سبق ذكره ص103.

بنت إلى امرأة، فقد بينت الإحصائيات الرسمية أن نسبة وقوع الجريمة تبلغ مداها عند الرجال، في الفئة العمرية من 18/25 سنة أما عند النساء فتتمدد إلى 30 سنة.

### 2.1.3 المعتقدات والأفكار اللاعقلانية والعدوانية:

ميز "أليس" Ellis بين العدوان السوي وغير السوي، مؤكداً دور المكونات المعرفية للعدوان، فالعدوان يكون سويًا إذا ما ارتقى بالقيم الانسانية الخاصة بالبقاء، والسعادة والقبول الاجتماعي، والعلاقات الحميمة، والعدوان غير السوي حسب "أليس" فيظهر على شكل (المضايقة، حب الجدل، العنجهية، الكبرياء، التأكيدية، والتحكمية، الغطرسة، الهياج والاحتدام، العداء، الإهانة والمعارضة والعنف)، ويفسر "أليس" العدوان في ضوء نظريته ABC، حيث A يكون فيه الحدث المحرك، وأما B فيمثل نظام الاعتقاد العقلاني و اللاعقلاني للفرد، وأما C فهي النتائج الانفعالية و السلوكية... وإقترح "إليس" أن إزالة المشاعر العدوانية والعدائية المدمرة للذات والآخرين، تتضمن مساعدة الأفراد على فهم المكونات المعرفية، مثل هذه المشاعر السلبية، والعمل على إحداث تغييرات جذرية في معظم معتقداتهم، وقد حدد "أليس" عدد الأفكار غير المنطقية، وغير العقلانية التي يمكن أن تؤدي إلى اضطراب الجانب الفكري، والنفسى بأنواعه المختلفة، و إلى العدوان وسوء التوافق الاجتماعي.<sup>1</sup>

يعرف البعض التطرف بأنه المغالاة في التمسك بأفكار ورفض دونهما، دون أي مناقشة، ويرتبط عادة بالعنف دفاعاً عن تلك الأفكار، ويعزو البعض الآخر إلى أن ظاهرة التطرف، هي عبارة عن رسالة تحذيرية ما للوسط المحيط، فتثير بذلك الخوف والرغبة في نفوس أفراد الجماعة التي ينتمي إليها الضحية، وقد يكون التطرف إيجابياً إذا كان في خدمة الصالح العام للمجتمع، ويكون سلبياً عندما يتعارض مع مصالح المجتمع، وعليه يمكن إيجاز تعريف شامل للتطرف، كما تعرفه "وفاء محمد البرعي" بأنه المبالغة في التمسك فكرياً أو سلوكياً، بجملة من الأفكار قد تكون دينية عقائدية، أو سياسية أو اقتصادية أو أدبية أو فنية، يشعر القائم بها بامتلاك الحقيقة المطلقة، وتخلق الفجوة بينه وبين النسيج الاجتماعي، الذي يعيش فيه وينتمي إليه، الأمر الذي غربه عن ذاته وعن الجماعة، ويعوقه عن ممارسة (التفاعلات) المجتمعية التي تجعله فرداً منتجاً.<sup>2</sup>

### 2.3 العوامل البيئية (الخارجية) للسلوك الإجرامي: وتضم النظريات النفسية والاجتماعية ونذكر منها:

1.2.3 نظرية التحليل النفسي: والتي من روادها العالم النمساوي "سيجموند فرويد" الذي يرى أن شخصية الفرد لا تتأثر كثيراً بعامل الوراثة، أو التكوين الجسمي، بل تتأثر بالعوامل النفسية، التي من خلالها تتكون وتشكل مرحلة الطفولة المبكرة، والنتيجة عن العلاقات الخاصة، والتصرفات المتبادلة، بين أفراد الأسرة، حيث تبقى راسب هذه الحوادث العالقة بشخصية الفرد، أو تدخل جذورها في حياته العاطفية، فتصح له دفاعاً لا شعورياً لسلوكاته وتصرفاته، فإذا كانت حياة

1. عصام عبد اللطيف العقاد، سيكولوجية العدوانية وترويضها: منحى علاجي معرفي جديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001 ص 121.

2. وفاء محمد البرعي وشبل بدران، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مصر 2002 ص 24.

الطفل مليئة بالصدمات والنكسات، فتعكس بدورها على حياته المستقبلية، مؤدية إلى انحرافه أو ارتكابه للجريمة، فالجريمة عن عند أصحاب المدرسة التحليلية، هي تعبير عن طاقة غريزية لم تجد مخرجاً اجتماعياً، فأدت إلى سلوك لا توافقي مع الأوضاع التي يسمح بها المجتمع.<sup>1</sup>

ومن التفسيرات التي قدمها "فرويد" أيضاً هو أن السلوك الإجرامي أو المضاد للمجتمع، هو أخفاق المجرم في ترويض دوافعه الغريزية، أو فشل في جعلها سلوكاً مقبولاً، فالسلوك الإجرامي حسبه هو نتيجة سوء تكيف، الأنا أو الذات اللاعقلانية، وهذا نتيجة ما تعرض له هذه الذات من صراعات حادة، جرت بين الهو والأنا الأعلى (الذات المثالية) من ناحية أخرى، بالإضافة إلى ذلك أعطى "فرويد" تفسيراً آخر للسلوك الإجرامي، وهو أن المجرم يعاني من حاجة ملحة للعقاب، كي يتخلص من مشاعر الذنب، التي نشأت بذورها من المشاعر اللاشعورية المدمرة في المرحلة الأوديبية، أثناء فترة الطفولة، فالجرائم حسبه ترتكب لنيل العقاب الذي يجعل المجرم قادراً على التخلص من مشاعر الذنب التي يعاني منها لفترة طويلة.<sup>2</sup>

ويرى "ألفريد أدلر" أن الشعور بالنقص هو المصدر الأول لكل نشاط إنساني، وأن غاية كل إنسان هي السيطرة والتفوق، وأن الجريمة مثلها مثل المرض النفسي والشذوذ الجنسي، وتأتي نتيجة الصراع القائم بين غرائز الذات، أي نزعة التفوق والشعور الاجتماعي.<sup>3</sup>

ويؤكد علماء نظرية التحليل النفسي، على دور الدوافع اللاشعورية والصراعات العقلية المكبوتة، في ارتكاب الفرد للجريمة، من أجل إشباع حاجات العقاب الناتجة عن فعل خطأ، ارتكبه الفرد خلال مرحلة الطفولة، وأن إشباع الرغبة اللبديدية الجنسية المكبوتة، قد يشبعها بطريقة غير مباشرة عن طريق نشاط بديل، وممنوع ومحرم، مثل السرقة، بالإضافة إلى أن كراهية الطفل لأبيه، قد يعبر عنها بانحراف عام نحو السلطة، وقد يعبر الفرد عن الشعور بالنقص، بالتعويض عن العمل الإجرامي الجريء، كما يرون أيضاً أن كلا من الأفراد الأسوياء والمجرمين، يملكون دوافع هدامة ومضادة للمجتمع، ويعزو الفرق بينهما، كون أن الأشخاص الأسوياء يكتبون دوافعهم المضادة للمجتمع، أو يسعون لتجسيدها في أنشطة اجتماعية، بينما الأشخاص المجرمون يخضعون لدوافعهم، وعليه فالمجرمون يرتكبون الجرم علناً، ليرعبوا الأسوياء، ويؤدي العقاب إلى تقوية دفاعاتنا ضد أنفسنا، وما يوجد فيه من إغراء تجاه الجريمة.<sup>4</sup>

وافترض "فرويد" أنه توجد للإنسان غريزتان رئيسيتان، وهما غريزة الحب والجنس وغريزة العدوان، واعتبر عدوان الإنسان على نفسه أو غيره، تصرفاً طبيعياً لطاقة العدوان الداخلية، التي تلح على طلب الإشباع، ولذا اعتبر أن العدوان تدميراً للذات في أصلها، وقد اتجهت إلى الخارج نحو الموضوعات البديلة، فالشخص يقاتل الآخرين وينزع إلى التدمير، لأن رغبته في الموت أقوى من غرائز الحياة...

1. بدر الدين علي، مرجع سبق ذكره، ص 20.

2. محمد شحاته ربيع وآخرون، مرجع سبق ذكره ص 113.

3. بدر الدين علي، مرجع سبق ذكره، ص 21.

4. عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون طبعة، بيروت، لبنان. 1984، ص 52.

وأتفق "آدلر" مع "فرويد" في اعتبار العدوانية غريزة فطرية، ولكن يختلف معه من ناحية استقلالها التام عن غريزة الجنس، فيعتبر "آدلر" أن العدوانية أكثر أهمية من الجنس، وسمها بإدارة القوة، حيث أنه يمثل القوة بالذكورة، والضعف بالأنوثة، وبعدها عدل عن فكرة إدارة القوة مفضلاً عنها بالكفاح في سبيل التفوق، واعتبر أن الهدف النهائي للإنسان أن يكون عدوانياً وأن يكون متفوقاً.<sup>1</sup>

كما واجهت نظرية "فرويد" للتحليل النفسي انتقادات كبيرة، من قبل علماء النفس التحليلين، مثل "كارل يونغ" و"آدلر" و"إريكسون" وغيرهم، فقد شك هؤلاء العلماء بمصادقية وجود الرغبات الجنسية لدى الأطفال، كما انتقدوها من حيث المبالغة في تأكيده على الجوانب البيولوجية في بناء الشخصية، ودور كل من اللاشعور وخبرات الطفولة المبكرة، في تحديد ملامح الشخصية المستقبلية، كما يرون أن نمو الشخصية يعتمد على عوامل أخرى، تتمثل في العوامل الثقافية، والاجتماعية، ففي هذا الصدد يرى "آدلر" إلى أن الاهتمام الاجتماعي فطري الطابع، حيث يميل الإنسان بطبيعته إلى الانغماس، في العلاقات الاجتماعية، مدفوعاً بدوافع إيجابية، تتمثل في الحب والاهتمام والتقبل والتعاطف.<sup>2</sup>

### 2.2.3 النظرية السلوكية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن السلوك العدواني متعلم بالإشراف، وذلك عن الثواب والعقاب وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، وقد افترض "سكينر" في نظريته الإشراف والتعلم الإجرائي، أن الإنسان يتعلم سلوكه بالثواب والعقاب، وعن طريق التعزيز الذي يلي الاستجابة، و بمقدار هذا التعزيز والسلوك الذي يعاقب عليه يقلع عنه، فالإنسان عندما يسلك سلوكاً عدوانياً، فإذا ما عوقب عليه كف عنه، وإذا ما كوفئ وشجع عليه أو تسامح فيه كان أميل لتكراره في المواقف الماثلة، وقد وجد كل من "والتر" و"براون" أن مكافئة الطفل على عدوان تنمي عنده العدوانية، حتى ولو لم تكن المكافئة غير منتظمة، فيكفي تدعيم العدوان مرة واحدة حتى يرسخ ويصعب تعديله بعد ذلك.<sup>3</sup>

وبالتعزيز يتعلم الشخص ليصبح مجرمًا، بواسطة إجراء تدريبي يعتمد على الثواب والعقاب، فهو يتكيف منذ طفولته المبكرة على الشعور بالقلق توقعاً للعقوبة، فإن لم يعاقب بشكل كاف لتصرفاته الجانحة وهو صغير، يفقد شعوره بالقلق لضعف وانعدام العقوبة المثيرة للخوف، وبالتالي يصبح معرضاً للسلوك الإجرامي.<sup>4</sup>

ووضع "هانز أيزنك" تفسير للجريمة في إطار نظريته العامة للشخصية الإنسانية، والتي يفترض فيها أنه يمكن وصف الشخصية الإنسانية في ثلاثة إبعاد رئيسة، مسؤولة عن قدر كبير عن التباين في السلوك وهي: الانبساط، الانطواء،

1. أسامة فاروق مصطفى، مدخل إلى الاضطرابات السلوكية والانفعالية: الأسباب، التشخيص، العلاج، دار المسيرة ط3، عمان، الأردن، 2003، ص 132.

2. عماد عبد الرحيم الزغول، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال، دار الشروق للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2006، ص 68.

3. أسامة فاروق مصطفى مرجع سبق ذكره ص 113.

4. بدر الدين علي، مرجع سبق ذكره، ص 21.

العصابية، الاتزان الوجداني، الذهانية والواقعية، وبعد الذكاء الذي بدوره يمثل المكون المعرفي للشخصية، وبعد الشدة واللين الذي يمثل المكون الاجتماعي للشخصية، ويرى "أيزنك" أن كل من بعدي الانبساط و الانطواء، والعصابية والاتزان الوجداني، هما أكثر أبعاد الشخصية استقراراً، وقابلية لإعادة الإنتاج لدى عينات مختلفة، من الخصال والثقافات، وأفترض "أيزنك" أن وجود أساس فسيولوجي، لكل من هذين البعدين، وأن هناك استعداداً وراثياً يتفاعل مع العوامل البيئية في تحديد وبلورة الفروق الفردية بين الأفراد على كل بعد منها.<sup>1</sup>

### 3.2.3. النظرية الاجتماعية:

يرى "تارد" و " دوركايم " أن الجريمة حقيقة اجتماعية، وظاهرة سادت في كافة المجتمعات، ويبرز هذا الاتجاه دور البيئة الاجتماعية بمفهومها الواسع، أي الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد بكل ما يحوي من عوامل مؤثرة، مسؤولة عن تكوين وتطوير بعض الأنماط السلوكية الإجرامية، وهي من أوسع نظريات الجريمة والانحراف انتشاراً، ومن أهم مفاهيمها مفهوم التفكك الاجتماعي، ويشمل كافة مظاهر سوء التنظيم في المجتمع، من الناحيتين العضوية والثقافية، و عدم التوافق والتكيف بوجه عام، أو الصراع و فقدان الشعور الجمعي، أو حالة التغيير الاجتماعي، أو عدم التوازن بين أجزاء ثقافة المجتمع، وإلى انهيار الجماعات وسوء أدائها لوظائفها، لكن الإفصاح عن أثر التفكك الاجتماعي في أحداث الظاهرة الإجرامية، إنما يعود الفضل فيه للباحث الأمريكي "دورثنسيلين" الذي أوضح أن المجتمعات الريفية أو التقليدية تتسم بالانسجام والتضامن، في ظروفها وفي مطالب احتياجات أفرادها، فلا يشعر الفرد بالعزلة أو بعدم الاطمئنان، مما لا يجعله يخرج على قيم الجماعة وثقافتها ونظامها النافذ، وهو ما يقيه من الوقوع في الجريمة والانحراف، على خلاف المجتمع الحضري، الذي يفتقر إلى التكافل بين أفرادها، بسبب اتساع رقعته، وتعدد الجماعات والثقافات وكثرة المعايير السائدة فيه وتناقضها، في كثير من الأحيان، مما يجعل الفرد غير قادر على التكيف، وعدم الاستقرار، ما يدفعه إلى الوقوع في الجريمة والانحراف.<sup>2</sup>

أما " شو " show فيرى أن التفكك الاجتماعي ينشأ من خلال التغيير السريع، وغزو المناطق بالمنشآت الصناعية والتجارية، واختلاط كثير من المعايير المتعارضة ويرى أنه تحت هذه الظروف تصبح الأنماط الجانحة شائعة، وتنتقل في حرية حتى تصبح في الواقع الثقافي لهذه المناطق التي تتميز بالفقر والجهل والمرض، وذات طابع انحرافي كبير، ترتفع بها معدلات شرب الخمر وتعاطي المخدرات والبغاء بصورة واضحة.<sup>3</sup>

كما ركزت على دور المحاكاة والتقليد ومن أبرز رواد هذه التوجه هو العالم "جبرائيل تارد"، وقد أهتم بدراسة ظاهرة الجريمة، حيث يرى أن السلوك الإجرامي، يحدث نتيجة التقليد والمحاكاة بالأفراد المجرمين، وقد أهمل أن الإنسان مجرم بالميلاد، وشكك في أسلوب تفسير الخصائص الفيزيائية له، وأن أنماط السلوك الجانح والسلوك الإجرامي، ينتقل بين الأشخاص عن

1. محمد شحاته ربيع، مرجع سبق ذكره ص 115.

2. عبد الرحمن محمد أبو توتة، 2007، الأحداث الجانحون المفهوم، العوامل، التداوير، ط1، دار الأحمدي للنشر، القاهرة، ص112.

3. سحر عبد الغني، 2007، الأطفال وتعاطي المخدرات، ط1، الاسكندرية، مصر، المكتبة المصرية، ص 110.

طريق المخالطة، لأن الاختلاط من العناصر الأساسية التي تهم في بعض أنواع السلوك الإجرامي كالمتاجرة بالمخدرات وتعاطيها.<sup>1</sup>

ويرى "سذرلاند"، أن البيئة المحيطة به و التي ينتمي لها، والجماعة التي يجذب إليها ذلك الفرد الفاشل في التكيف مع معايير المجتمع، و هي مدرسته التي تصنع منه مجرماً،<sup>2</sup> وفي اعتقاده أن الفرد الذي أصبح سلوكه سلوكاً إجرامياً، هو نتيجة للمخالطة المغايرة وقد تزود بتجارب سابقة وميول وقدرات تسلح بها عند تعامله مع تلك الوضعية في حياته، فالجريمة تحدث عندما تكون الظروف ملائمة لها، كما أكد ان السلوك الإجرامي سلوك مكتسب وليس موروثاً، يكتسبه الفرد عن طريق التعلم، فالفرد لا يصبح مجرماً بدون خبرة إجرامية سابقة، وتدريب كاف على السلوك الإجرامي.

### 3.3 النظرية التكاملية في تفسير الجريمة:

يرى هؤلاء العلماء أن السلوك الإجرامي مركب لا يمكن تجزئته، أي لعوامل ذات صبغة اجتماعية أو عضوية أو نفسية، بل مزيجاً مركباً مشتركاً من عدة عوامل، تؤدي إلى ارتكاب الجريمة، ومن أنصار المذهب التكاملي الذي يجمع العوامل النفسية والاجتماعية، عالم الإجرام الأمريكي "والتر كلس" صاحب نظرية الاحتواء، التي ترجع السلوك الإجرامي، إلى ضعف أو فشل الاحتواء الداخلي، وهو قدرة الفرد على الإمساك الإجرامي عن تحقيق رغباته، بطرق منافية للمعايير الاجتماعية، والاحتواء الخارجي هو قدرة الجماعة أو النظم الاجتماعية، ان تجعل لمعاييرها الاجتماعية أثراً فعالاً على الأفراد، وتظهر قوة الاحتواء الخارجي في درجة مقاومته للضغوط الاجتماعية.<sup>3</sup>

### 4. خاتمة:

إن الشخصية الإنسانية كل متكامل، ومن الصعب فصل أثر الوراثة عن البيئة في تكوينها ونموها، وكلاً من الوراثة والتنشئة تؤثران في الصفات والسمات، وتشمل هذه التأثيرات العوامل الوراثية التي تتفاعل مع بعضها بعضاً، والعوامل البيئية التي تؤثر عليها، واستعدادات وراثية تعتمد على البيئة في نضجها، من تجارب اجتماعية، وثقافية، إضافة إلى الكيفية المعقدة التي تتداخل وتتناغم فيها العوامل الوراثية والبيئة مع بعضها لتشكل صفات وسمات الفرد، ولكن هذا لا يعني أن السلوك الإجرامي حتمية بيولوجية أو حتمية اجتماعية، وإلا كان صاحبه فاقداً للأهلية، و معفى من المسؤولية، مسير لا مخير مجبر على ارتكاب جرائمه، ولا يحق عقابه، وهذا أمر غير منطقي، فالله كرم بن آدم وميزه بالعقل، والذي من خلاله يميز بين الخطأ والصواب، والفعل المحمود والمذموم والمباح والمحرم، والمسموح والمنعوع، وكما لا يجب أن يُظلم أو يُساء إليه و يتعرض

1. رشيد حميد زغير، ويوسف محمد صالح، الانحراف والصحة النفسية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 96.

2. Edwin H. Sutherland and Donald R. Cressay; Principles of criminology; 7th ed Philadelphia: J.B. Lippincott, Co. 1966, P,75.

3. بدر الدين علي، مرجع سبق ذكره ص 24.

لجزم ما، وجب عليه هو أيضا الامتناع عن إيذاء الآخرين أو المساس بمصالحهم، وإلا تعرض للعقاب الذي ينص عليه القانون.

## 5. قائمة المراجع:

1. أحمد الربابعة، أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، أكاديمية نايف العربية، الرياض، 1984، ص 16 .
2. أسامة فاروق مصطفى، مدخل إلى الاضطرابات السلوكية والانفعالية: الأسباب، التشخيص، العلاج، دار المسيرة ط3، عمان، الأردن، 2003، ص 132.
3. أسامة محمد الراضي، النظريات الحديثة في تفسير السلوك الإجرامي: أثر العوامل الوراثية والتكوينية على قيام السلوك الإجرامي، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، المملكة العربية السعودية، 1987، ص 31.
4. بدر الدين علي، النظريات الحديثة المفسرة للسلوك الإجرامي: عرض عام لتطور النظريات المتعلقة بسببية الجريمة، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض، المملكة العربية السعودية 1987، ص 18.
5. جلال الدين عبد الخالق، والسيد رمضان، الجريمة والانحراف من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2001، ص 181 .
6. جمال معتوق، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي، الجزء الأول، دار بن مرابط للطباعة والنشر، 2008، ص 90.
7. حسن صادق المرصفاوي، "نظام التجنيح، المجلة الجنائية القومية، عدد 1، مارس 1963، ص 6 .
8. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الجريمة، دراسة في علم الاجتماع الجنائي، المركب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د . سنة، ص 61 .
9. رشيد حميد زغير، ويوسف محمد صالح، الانحراف والصحة النفسية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 96.
10. سحر عبد الغني، 2007، الأطفال وتعاطي المخدرات، ط1، الاسكندرية، مصر، المكتبة المصرية، ص 110.
11. سذرلاند أدوين ودونالد ركيسي، مبادئ علم الإجرام، ترجمة اللواء محمود السباعي، والدكتور حسن صادق المرصفاوي، مكتبة الانجلو العربية، القاهرة، 1968، ص 20
12. السيد علي شتا، علم الاجتماع الجنائي، الدمام، دار الإصلاح للطبع و النشر والتوزيع، 1984، ص 23.
13. طه السيد أحمد الرشيد، تفسير السلوك الإجرامي في ضوء النظريات الوضعية والمنهج الإسلامي، مجلة كلية الدراسات العربية والإسلامية، المجلد 9، العدد 2، 2017، ص 329.
14. عبد الرحمان العيسوي، سيكولوجية الجنوح، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بدون طبعة، بيروت، لبنان. 1984، ص 52.
15. عبد الرحمن محمد أبو توتة، 2007، الأحداث الجانحون المفهوم، العوامل، التدابير، ط1، دار الأحدي للنشر، القاهرة، ص 112.
16. عبد الله عبد الغني غانم، علم الاجتماع الجنائي الإسلامي، الكتاب الأول، الجريمة والمجرم من المنظور الإسلامي، نحو نظرية إسلامية عامة للجريمة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1994، ص 39
17. عصام عبد اللطيف العقاد، سيكولوجية العدوانية وترويضها: منحى علاجي معرفي جديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001، ص 121.
18. عماد عبد الرحيم الزغول، الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال، دار الشروق للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2006، ص 68.

19. فتوح عبد الله الشاذلي، علم الإجرام العام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2002، ص 215.
20. محمد شحاته ربيع وجمعه سيد يوسف ومعتز سيد عبد الله، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1994، ص 39.
21. محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر والتوزيع ط1، عمان، الأردن، 2008، ص 126.
22. نظير فرج مينا، الموجز في علم الإجرام والعقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1993، ص 17.
23. وفاء محمد البرعي وشبل بدران، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية، مصر 2002 ص 24.
1. Edwin H. Sutherland and Donald R. Cressay; Principles of criminology; 7th ed Philadelphia: J.B. Lippincott, Co. 1966, P,75.